"ما من خطوةٍ أصعب من تلك الّتي خطيْتها قبل ثوانٍ للصعود كي أواجهكم. نعم! أواجهكم! أقف الآن أمامكم سائلًا نفسي: هل أنا أوجّه تلك الكلمات إلى من هم في حالٍ قادرةٍ بعد على الإستماع إلى خطابات؟ هل هو خطأٌ بأنّني لا أرى أمامي سوى أناسٍ تحوّلوا إلى مخزن حقْدٍ وتعبٍ ويأسٍ؟

لا! لست هنا لتوجيه أناشيدًا كُتِبَت وبقيت حبرًا على ورقٍ... ولست هنا كي أوجّه من خلال كلامي وعودًا لم ولن تتحقّق... بل ما أفعله هنا، هو ليس إلّا وقفة تقديرٍ لأولئك الّذين ضحّوا ويضحّون بحياتهم ووقتهم من أجل بلدٍ لم يبقَ فيه غير كرامة شعبه صامدة، لا بل تلك الأخيرة أصبحت على المحك...فيا ويلٌ لأمّة أُسقطت أغنى ما تملكه: كرامتها!

تحيّة عزّ وتقدير منّي ومن كلّ مواطنٍ لكم! تحيّة من كلّ أمٍ حلمت يومًا بأن تكون واقفةً واقفة إلى جانب ابنها يوم تخرّجه! ولكن، مع الأسف، سرعان ما تتبخّر هذه الوقفة عند لحظة فراق الأمّ عن فلذة كبدها لأنّ بلده الأم ليس بأمٍ له...

"لي صخرة عُلّقت بالنجم أسكنها
طارت بها الكتب قالت تلك لبنان"

من قال يومًا أنّ هذا القول لسعيد عقل الذّي كان يعني بلبنان صخرة، يتحوّل فيه المرء إلى صخرةٍ تطير وترفع اسم لبنان. فهذا البلد لا يكمن عزّه إلّا من خلال تعبكم وجهودكم الّتي توصل هؤلاء إلى تلك المراكز. فهل يُعقل أن ننسى مثلًا أمين معلوف الّذي كان واقفًا بينكم؟ بذاته قالها في مؤلّفه الأخير: "لقد ولدت بصحّةٍ جيّدةٍ في أحضان حضارةٍ تحتضر". فيا أمين، لو أنّك تعرف أنّ حضارتنا وشعبها احتضرتا حين سقطت عاصمة الفخر في انفجارٍ لم يشهده إلّا أولئك الّذين يحملون الهويّة اللّبنانيّة. فأصبح، من هم يُعرفون بأنّهم لبنانيّون، بنظر العالم يحملون هويّة الشفقة... فبيروت الّتي دُمّرت وعمّرت سبع مرّات، شعبها مستعدّ ليجعل من الثمانية رقم انتصارٍ بدلًا من السبعة لأنّنا انتصرنا، وسننتصر. وبفضل تعبكم ومساعدتكم، سنعيد إلى ذلك البلد رونقه.

لا تيأسوا... فالطريق طويل. فلنبقَ متمسّكين معًا بفسحة الأمل. أعرف تمامًا بأنّ ما نواجهه هو أكبر بكثير ممّا يُحكى، وما من معجمٍ يحتوي على كلماتٍ كافية لوصفه. بحجمه الصغير على الخريطة، يتحمّل ما لا يمكن لكون بأكمله أن يتحمّله. أعرف تمامًا بأنّ ما من قطاع قادرٍ على التحمّل بعد، وأنتم كجامعة تتحمّلون

بلدًا كاملًا على أكتافكم على صعيد كلّ القطاعات... وذلك بعد تعهّدكم كمجتمعٍ جامعيّ، لتحويل هذا الألم إلى نجاحاتٍ تفيض على الكون ضوءًا...
إن كان سلاحهم التدمير واسقاط بيروت جرّاء جهلهم، فأنتم تسلّحون أجيالًا بالقلم والمعرفة الّتي ما من أحدٍ قادرٍ على سلبها مهما كان الثمن. صحيحٌ أنّ أعمدة بيروت سقطت، لكنّكم أنتم مداميكها الّتي ما زالت صامدة في هذه الجامعة، جامعة القدّيس يوسف، لتعمّر وتعمّر...

فالوطن الرّسالة أنتم حبره لتلك الأجيال. ولكنّ هذا الحبر لم يكن بعمره ولن يبقى حبرًا على ورق...
فيا جامعتي وبيتي، أنت تحملين اسم "القدّيس يوسف"، من هو رمزٌ للأبوّة، ومن خلال هؤلاء الذين يقفون أمامي، أصبحْتِ أبًا مراعيًا لبلدٍ يتيم يتألّم قلبه بيروت...

عشتم، عاش أبناء الجامعة اليسوعيّة، وعاش لبنان...
شكرًا..."

Jad Jabbour, 4e année médecine